

سؤال من ليبيـا: من أكـبر.. الشعوب أم قـادتها؟

الكاتب : هشام محمد سعيد قربان

التاريخ : 13 إبريل 2012 م

المشاهدات : 4552



إن صـح الاستشهاد بالقول بأن العـبرة بـعموم القـول لا بـخصوص السـبـبـ، فـلـقد قـالـت الجـمـوعـ في مصر وـتونـسـ وـليـبيـاـ وـاليـمنـ وـسورـياـ قولـةـ كـرـيمـةـ مـسـتقـاةـ منـ كـتـابـ لـأـرـبـ فـيـهـ، لـقـدـ قـالـواـ بـصـوـتـ لـأـفـرـ لـقـادـتـهـمـ مـنـ سـمـاعـهـ وـفـهـمـهـ: {ـقـلـ هـاتـواـ بـرـهـانـكـ إـنـ كـنـتـمـ صـادـقـينـ}ـ، لـقـدـ سـئـمـواـ وـملـوـاـ مـنـ جـرـيـمةـ كـبـرـ مـقـتهاـ وـإـثـمـهاـ عـنـ اللـهـ لـأـلـئـكـ الـذـينـ يـقـولـونـ مـاـ لـيـفـعـلـونـ.

إن استمرار غـيـابـ البرـهـانـ فـيـ أـرـضـ الـوـاقـعـ وـالـمـنـجـزـاتـ يـعـقـمـ هـوـةـ عـمـيقـةـ وـسـحـيقـةـ بـيـنـ الإـدـعـاءـ بـالـقـوـلـ وـالـتـصـدـيقـ بـالـعـمـلـ، فـلـمـ يـعـدـ لـلـتـرـقـيـعـ فـائـدـةـ، فـلـقدـ بـلـيـ وـاهـتـأـ ثـوـبـ الـكـذـبـ، وـكـثـرـ فـتـقـهـ، وـانـشـقـ كـلـ سـابـقـ رـتـقـهـ، وـبـانـتـ سـوـآـهـ لـأـبـسـهـ لـلـمـلـأـ، وـفـجـأـةـ حـدـثـ ماـ لـمـ يـكـنـ فـيـ الـحـسـبـانـ، وـانـقـلـبـ السـحـرـ عـلـىـ السـاحـرـ، بـلـ وـأـمـنـ بـعـضـ اـتـابـعـ السـحـرـ.

هـاتـواـ بـرـهـانـكـ عـلـىـ إـدـعـاءـ مـحـبـةـ أـوـطـانـكـ وـمـوـاطـنـيـكـ...

هـذـهـ مـقـوـلـةـ وـضـعـتـ تـحـتـ الـمـحـكـ الـكـثـيرـ وـالـكـثـيرـ، وـسـأـلـتـهـمـ سـؤـالـاـ لـأـتـنـفـعـ الـمـرـاوـغـةـ وـالـتـضـخـيمـاتـ وـالـمـزاـيدـاتـ الـإـعـلـامـيـةـ فـيـ التـهـرـبـ مـنـهـ.

هـذـهـ السـؤـالـ هوـ: مـنـ أـكـبـرـ: الشـعـوبـ أـمـ قـادـتـهـ؟

في ثـنـايـاـ هـذـهـ السـؤـالـ وـمـضـاتـ مـضـيـةـ تـهـدـيـ السـارـيـ فـيـ لـيـلـ الـظـلـمـ، وـتـعـلـمـهـ أـنـ المـصـلـحةـ الـعـامـةـ هـيـ أـعـلـىـ وـأـوـلـىـ بـالـتـقـدـيمـ عـلـىـ كـلـ المـصـالـحـ الـخـاصـةـ، وـتـذـكـرـ الـجـمـيعـ وـكـلـ الـأـدـعـيـاءـ بـمـعـنـىـ مـغـيـبـ لـحـبـ الـوـطـنـ وـالـمـوـاطـنـةـ، وـهـوـ أـنـ الـمـيـزـانـ الـحـقـ لـلـمـوـاطـنـةـ لـيـسـ شـعـارـاتـ جـوـفـاءـ، وـانـتـمـاءـاتـ اـسـمـيـةـ، وـصـورـ مـعـلـقةـ، وـأـنـاشـيـدـ مـسـجـوـعـةـ، بـلـ هـوـ تـقـدـيمـ وـتـغـلـيـبـ مـصـلـحةـ الـأـوـطـانـ عـلـىـ مـصـالـحـ أـشـخـاصـ الـقـادـةـ وـالـقـلـةـ الـمـتـنـفـذـةـ وـكـلـ الـمـوـاطـنـيـنـ مـهـمـاـ كـانـ مـوـقـعـهـ فـيـ الـهـرـمـ الـاجـتـمـاعـيـ وـالـوـظـيفـيـ.

يـعـظـمـ حـجـمـ الـبـرـهـانـ الـمـطـلـوبـ وـمـقـدـارـهـ كـلـمـاـ عـلـاـ مـوـقـعـ الـفـرـدـ فـيـ هـذـاـ الـهـرـمـ -ـ فـكـلـ رـاعـ مـؤـتـمـنـ وـمـسـؤـولـ عـمـاـ اـسـتـرـعـاهـ اللـهــ،ـ وـالـبـوـنـ شـاسـعـ بـيـنـ سـؤـالـ رـاعـيـ الـعـشـرـةـ وـسـؤـالـ رـاعـيـ شـعـبـ بـأـكـمـلـهـ،ـ وـلـاـ يـخـفـانـاـ الـحـدـيـثـ النـبـوـيـ الـشـرـيفـ الـذـيـ يـتـوـعـدـ مـنـ رـعـيـ

أـمـرـ عـشـرـةـ مـنـ الـخـلـقـ فـقـشـهـ،ـ فـكـيـفـ يـكـونـ وـعـيـدـ وـعـقـوبـةـ مـنـ وـلـيـ رـعـاـيـةـ شـعـبـ بـأـكـمـلـهـ فـقـشـهـ جـيـلـاـ بـعـدـ جـيـلـ؟ـ

مـاـ أـسـرـنـيـ وـأـتـلـجـ صـدـريـ ظـهـورـ هـذـهـ الـمـفـاضـلـةـ الـمـفـاجـئـ فـيـ وـقـتـ الـفـتـنـ،ـ فـلـقـدـ سـمعـتـهـاـ فـيـ نـداءـ مـؤـدـبـ مـنـ أـحـدـ رـفـاقـ الـأـخـ

الـعـقـيدـ الـذـيـ أـفـضـىـ لـمـاـ قـدـمـ.ـ يـقـولـ لـهـ بـحـرـقـةـ وـيـذـكـرـهـ:ـ بـأـنـ لـيـبـيـاـ كـوـطـنـ وـشـعـبـ هـيـ أـكـبـرـ مـنـ أـشـخـاصـنـاـ،ـ وـحـبـنـاـ لـهـ لـأـ يـسـتـقـيمـ

وـلـاـ يـكـمـلـ إـلـاـ إـذـاـ كـانـ أـكـبـرـ مـنـ حـبـنـاـ لـأـشـخـاصـنـاـ،ـ وـرـؤـانـاـ،ـ وـتـطـلـعـاتـنـاـ.

إـنـ عـظـمـةـ الـفـرـدـ -ـ أـيـ فـرـدــ تـكـوـنـ بـمـقـدـارـ نـفـعـهـ لـغـيـرـهـ لـأـ بـقـدـرـ نـفـعـهـ لـذـاتـهـ الصـغـيرـةـ،ـ لـأـ حـبـ الـخـلـقـ إـلـىـ اللـهـ أـنـفـعـهـ لـخـلـقـهـ.

من المؤلم حقاً أن ترى من ثار بالأمس على الظلم والظلمة، ورأى فيه الشعوب المظلومة والمقهورة بالأمس أملها ومنقذها ينسى اليوم وعود ثورته المجيدة، ويجد دروسها المرة في دوامة وأسر تمجده لذاته الصغيرة، والذي يجعله يظن واهماً أنه بمفرده هو الشعب بأكمله والوطن بمجموعه، ويا لها من هلوسة مخيفة وجنون قاتل يهدد الملايين.

لقد كشفت الأحداث الأخيرة أوراق التوت عن كثير من السوءات.

وزالت الأقنعة الوطنية والثورية عن بعض الوجوه فإذا خلفها ذئاب تختطف شعوباً بأسرها، وتقول لها حينما تتململ من سجنها مقوله محذرة: احمدوا الله على نعمة الحياة الآمنة، وإنني لم أعرض رقابكم لأنيابي الحادة، وأكلكم كما أكل الذئب الآخر الخراف الآمنة في المزرعة المجاورة.

يا لها من مساومة غير أخلاقية - تتنست بالدين أحياناً - **بين الذئب والخraf حينما يتزهـم ويعرض عليهم خيارين الغبن ظاهر في كلـهما:**

- 1) إما الحياة والأمن المزعوم داخل أسوار مزرعتي العالية، لكم المزيد من البرسيم الطري والعلف اللذيد.
 - 2) أو وضع رقابكم تحت أيابي اللامعة، ومخاليبي القاطعة.
- خيارات لئيمان لا ثالث لهما: أحكمكم بظلم، أو أقتلـكم بلا رحمة.

يستعين الذئب كعادته بعدد من النعاج السمينة لتزيـن لهم الخيار الأول وتخيفـهم من الثاني، وتحاول إقناعـهم بكذب وسوء نية من يحدثـهم عن المروج الخضراء الفسيحة، والحياة الحرة الكريمة خارج أسوار المزرعة وأسلاكـها الشائكة.

تصدق الخراف البريئة - على عادتها - الذئب الذي يكرـم ولاءـها بالمزيد من البرسيم الأخضر الحلو، والعـلف المستورد الطـري فتشتغلـ بأكلـه، وجمعـه، والتـفاخرـ به عن أحـلام الحرية وندائـها.

إن رحمة الله بعبادـه لا تغـيب، وإن شـكـ فيـه الشـاكـ، وقـنـطـ منهاـ اليـائـسـ، فالـذـئـبـ المـغـرـورـ نـسـيـ وـلـمـ يـفـطـنـ فيـ خـضـمـ جـنـونـ عـظـمـتـهـ لأـمـرـ مـهـمـ وـخـطـبـرـ فيـهـ سـرـ هـلاـكـهـ، وـهـوـ أـنـ لـلـبرـسـيمـ وـالـعـلـفـ تـارـيـخـ وـأـجـلـ تـنـتـهـيـ فيـهـ صـلـاحـيـتـهـ، وـيـضـعـفـ مـفـعـولـهـ، وـيـزـوـلـ تـأـثـيرـهـ المـخـدرـ.

عندـئـذـ تستـيقـظـ الخـرافـ منـ غـفـلـتـهاـ يـقـظـةـ لـاـ نـوـمـ بـعـدـهاـ، وـتـكـشـفـ حـقـيـقـةـ جـهـدـ الذـئـبـ فـيـ إـخـفـائـهاـ سـنـيـنـ طـوـيـلـةـ، فـمـاـ الخـرافـ إـلـاـ أـسـوـدـ ضـارـيـةـ بـعـدـ وـضـلـتـ عنـ دـرـبـ أـبـائـهـ وـسـيـرـتـهـ، فـجـهـلـتـ ذـاتـهـ وـشـأنـهـ.

سوف تستـيقـظـ الخـرافـ بلـ الأـسـوـدـ وـتـخـبـرـ الـكـوـنـ أـجـمـعـ بـالـسـرـ المـغـيـبـ، وـتـشـمـ عـبـقـ الـحـرـيـةـ الـذـيـ لـاـ يـعـدـلـهـ كـلـ بـرـسـيمـ الـأـرـضـ وـعـلـفـهـ حـتـىـ لـوـ كـانـ مـسـتـورـداـ.

المصادر: